

نفحات القرآن

[205] لي صَرَحاَ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى (1) (وَإِنِّي لأُظَنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) . ولا شكَّ أنَّ فرعون كان أشدَّ شيطنة من أن لا يدرك هذه القضايا الواضحة وهي أنَّه ليس إلهًا ، وأنَّ ما يقصده موسى من إله السماء ، هو خالقه لا أنَّه يسكن السماء حقيقة . ولوتجاوزنا هذا الأمر وفترضنا أنَّه يسكن السماء فإنَّه لا يمكن الوصول إليه ببناء برج عال ، فمنظر السماء من على قمم الجبال في العالم هو المنظر الذي يشاهد من فوق سطح الأرض ، ولم تخفَّ هذه القضايا على فرعون . ولكن فرعون كان يفكِّر في مخطَّط آخر وأراد صرف الرأي العام الذي مال إلى موسى بشدَّة وذلك بطرح هذه القضية المثيرة ، كما أراد أن يشغل مجموعة لمدَّة طويلة ببناء برج عال جدًّا ، وفي النهاية يصعد إلى أعلى البرج ليحرِّك نفسه ويقول : إِنِّي بحثت عن إله موسى في السماء فلم أجد له أثرًا ! إنَّ هذه القضية توضِّح أمرًا مهمًّا وهو إنَّ مستوى الرأي العام في مصر كان بسيطًا إلى حدِّ أنَّهم لم يكونوا ليصدقوا إلاَّ بإله محسوس ، وبالتالي يصدقون فرعون بإدِّعائه الألوهية وتوقَّعوا أن يكون إله موسى جسمًا في جوِّ السماء ! وفي مثل هذه الأجواء تشيع روح الصنمية وصناعة الأصنام قطعًا ! * * * الآية الرابعة تنقل أقوال المشركين وإحتجاجاتهم المتنوعة والغريبة حيث طرح كلُّ واحدٍ اقتراحًا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتمسَّك بحجَّة معيَّنة حيث تقول الآية : (وقالوا لن نؤمن لك حتَّى تفجِّر لنا من الأرض ينبوعًا) (2) ، وقد تمسَّك البعض الآخر بحجج أخرى وقالوا أخيرًا : (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً * أو _____ 1 - (صرح) في الأصل تعني الخلو من الشوائب ثمَّ تطلق على القصور والبيوت العالية والجميلة لأنَّها بلغت من الكمال في بنائها إلى درجة لا يوجد فيها عيب أو نقص . 2 - ينبوع من (نبع) وتعني عين الماء .